المحاضرة رقم (06) الجانب الحضاري للعصر العباسي الثالث .

تمهيد :

شهد العراق وبلاد فارس خلال عصر السيطرة البويهية نهضة عظيمة شملت كل ميادين الحياة ، فقد ارتكزت سياسة الأمراء البويهيين الشيعة على بناء حضارة إسلامية إنسانية قائمة على العلم والثقافة كدعامة أساسية للدولة ، والمطالع لتاريخ الدولة البويهية ينبهر حقيقة من النهضة العلمية التي أفرزتها تلك الفترة حتى أصبحت بغداد أهم مركز ثقافي وحضاري في العالم.

لقد أولى الأمراء الشيعة اهتماماً منقطع النظير بالعلم والثقافة وأسَّسُوا المكتبات الضخمة واستقطبوا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والمفكرين والفلاسفة والأطباء والجغرافيين والفلكيين والرياضيين وغيرهم من العقول التي جعلت من بغداد غاية ما يتمناه الإنسان من الرقي والتقدم والازدهار.

امتاز عهد آل بويه بالخصب العلمي والأدبي بتأثيرهم الخاص أو بتأثير وزرائهم، ذلك أنهم استوزروا أبرع الكتاب وأبرزهم، واعتمدوا عليهم في شؤون الحرب وأمور السياسة والإدارة والمال جميعاً، فلمعت أسماؤهم وعظمت هيبتهم وطار صيتهم في الآفاق فقصدهم أهل العلم والأدب فأفادوا منهم كثيراً وأنتجوا كثيراً في ميدان الأدب والفلسفة والعلم، فكان أثرهم في الحياة الفكرية قوياً جداً ، وقد شجّع البويهيون الروح الأدبية وعضدوا مدرسة بغداد التي كان قد اضمحل شأنها في أثناء تدهور الخلافة العباسية .

كان من أهم عوامل ازدهار الحياة العلمية والأدبية في عهد بني بويه العناية الفائقة والاهتمام الكبير بالعلم والفكر من قبل أمراء بني بويه واحترامهم للعلماء والأدباء، فكان عضد الدولة يأمر بتوزيع الرواتب على الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين والمفسِّرين والنُّحاة والشعراء والنَّسَّابين والأطباء والحسَّاب والمهندسين، وأفرد لأهل الاختصاص من العلماء والحكماء موضعاً يقرب من مجلسه وأنشأ مكتبة تحتوي على كل كتاب صُنِّف إلى وقته من جميع العلوم.

وكان من نتائج هذا الاهتمام المنقطع النظير أن زخرت الحركة العلمية والأدبية بالمؤلفات والمصنَّفات الفريدة والنادرة في جميع مجالات العلم، يقول الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب : كان عضد الدولة يعظم الشيخ المفيد وقد ألف له العلماء العديد من الكتب وقصده فحول الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح منهم أبو الطيب المتنبي .

وبلغت المصنفات والآثار العلمية والفكرية والأدبية والفلسفية أعدادا تجل عن الحصر في ذلك العصر والتي كان لبني بويه الفضل الأول في تصنيفها ومن تلك الآثار العمل الذي قام به العالم الفلكي أبو الحسين بن عمر الرَّازي بصنع كرة تمثِّل السَّماء بما فيها من أجرام ونجوم.

بني بويه والجانب العلمي

امتازت الدولة البويهية بخاصية قلما تتوفر في غيرها من الدول وهي أن كل رجالها من أهل العلم والأدب، فقد عهد الأمراء البويهيون لأهل العلم والأدب بالمناصب لقدرتهم على إدارتها وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً إذ في عهد بني بويه وصل العلم والأدب في بغداد إلى القمة العليا فنشأ أكابر المفسِّرين والمحدِّثين والفقهاء والمتكلمين والمؤرخين والكتاب والشعراء وأساطين علوم العربية والحُذّاق في المعارف الكونية. وكان لبعض ملوكهم آثار في العمران وحسنات على أهل الفضل وأقمار الأدب ففي عهدهم تولى الوزارة في إيران أبو الفضل بن العميد، وأبنه أبو الفتح، والصاحب بن عباد، وفي بغداد أبو محمد المهلبي الذي أفاض على رجالات العلم والأدب شيئاً من حسناته وفيضاً من نعمه) وهؤلاء الوزراء لم تقتصر دائرة

شهرتهم على عصر الدولة البويهية فحسب، بل إنهم كانوا من أعمدة الحضارة الإسلامية عبر تأريخها الطويل وأغنوا الحركة العلمية بالعلوم والمعارف التي نهلت منها الأجيال بعدهم.

الوزير الفقيه أبو الفضل بن العميد أنموذج الوزير العالم :

الوزير الكاتب أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد المعروف بـابن العميد، وهو لقب والده الذي أطلقه عليه أهل خراسان للدلالة على التعظيم والتبجيل، ورث فن الكتابة عن أبيه الذي كان كاتباً لنوح بن نصر الساماني ملك بخارى، فنشأ ابن العميد على الأدب وتمرّس على الكتابة حتى اشتهر بها وفاق كتاب عصره فيها، كما نبغ في الشعر والفلسفة والنجوم وقيادة الجيوش.

ذكر ابن خلكان قائلا عنه : كان أبو الفضل بن العميد متوسِّعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وكان يُسمَّى الجاحظ الثاني ، لكن ميزة الكتابة طغت عليه حتى لقب بالأستاذ والجاحظ الثاني، حيث كان يُقال بُدِئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، كما عرف ابن العميد بخصاله الحميدة الحسنة ومكارم أخلاقه فاشتهر بجوده وكرمه، فوجد في منصب الوزارة لركن الدولة ما يُلبي حاجته النفسية في إشاعة العلم والأدب والكرم فهاجر إليه الشعراء والعلماء من بغداد والشام ومصر، وقد قصده المتنبي ومدحه بقصائد مشهورة ، وقد ألف ابن العميد كثيراً من الكتب في مختلف العلوم، ولكن للأسف فإن كل آثاره قد ضاعت ولم يبق منها سوى كتاب بناء المُدن وهو يُعنى بفنون البناء والعمران.

الوزير العالم الصاحب بن عباد :

هو أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، ولد في إحدى كُور فارس بأصطخر أو طالقان في (16 ذي القعدة سنة 326هـ) وهو أوّل من لقب بـ (الصاحب) من الوزراء في الدولة البويهية، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له: صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولّى الوزارة بعد ابن العميد سنة (367هـ) .

عُدّ من فحول العلماء ومن رؤساء المحدثين والمتكلمين، ووصفه الحر العاملي في "أمل الآمل" بأنه محقّق متكلّم عظيم الشأن جليل القدر في العلم، وعدَّه الثعالبي أحد أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في كتابه "فقه اللغة" وجعله في مصاف علماء اللغة من أمثال الليث والخليل وسيبويه ،ومؤلفات الصاحب وكتبه كثيرة وفي مجالات متعددة منها: "الإمامة في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام"، و"نهج السبيل في الأصول"، و"أسماء الله وصفاته"، ومن كتبه أيضاً: "التذكرة"، و"التعليل" و"الأنوار"، و"المحيط في اللغة" في عشر مجلدات، و"الفصول المهذبة"، كما ألّف كتابين في العروض وكتابين في الطب وعدة كتب في الأدب والشعر وقد زادت مؤلفاته على الثلاثين ، وكان يقرّب رجال العلم والأدب والفضيلة ويغدق عليهم، فتهافت عليه الشعراء وقد عدّهم الثعالبي فكانوا خمسمائة شاعر من الذين مدحوه.

الوزير الأديب المهلبي :

أبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون المعروف بـ (الوزير المهلبي (291 - 352 هـ/903 - 963م) يرجع نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي، من كبار الوزراء الأدباء لقب بذي الوزارتين وكان جواداً بليغاً أديباً شاعراً، وقد فصل ابن النجار البغدادي (578-643هـ/1183-1245م) حياته وأدبه في ذيل تاريخ بغداد.

يعد الوزراء الثلاثة الشعلة العلمية المتّقدة في عصر البويهيين ليس بما ألفوه فقط، بل بما جبلوا عليه من حب للعلم والأدب وتشجيع العلماء والأدباء وحثهم على الإبداع وتهيئة الأجواء المحفزة على التأليف والتصنيف

في شتى المجالات فبلغت العلوم أوج ذروتها في عهد البويهيين في ميادين الفكر والفلسفة والأدب والطب والتأريخ والفقه وعلوم العربية والدراسات اللغوية والجغرافيا والهندسة وعلم الفلك.

أبرز العلماء في عهد بني بويه :

تركت الدولة البويهية ثروة علمية وأدبية كبيرة أغنت المكتبة الإسلامية حيث تشير الروايات إلى أن البويهيين كانت لهم اليد الطولى في العلوم واللغة والآداب، وكان بلاطهم على الدوام مليئاً بالعلماء والمحققين والأدباء والشعراء وغيرهم من أعلام الفقه واللغة والأدب ، وقد ترك اهتمام البويهيين بالعلم والأدب والفنون الأخرى أثره الكبير ودوره الفاعل في قلوب العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة الذين شكل اهتمام البويهيين بهم حافزا لهم على الابداع فترسموا خُطى هذه الدولة في سياستهم وإدارتهم للبلاد.

وقد بلغت هذه الدولة أوج الحضارة الإسلامية وذروة التمدن والتحضر والرقي العلمي والفكري والأدبي يقول الدكتور حسين أمين: " قد لا أكون مُغالياً إن قلت إن العصر البويهي هو العصر الذي بلغت فيه الحياة الثقافية العربية الإسلامية ذروتها حيث سمت الآداب نثراً وشعراً وتطوّرت الدراسات اللغوية وازدهرت الحياة العقلية وتكاملت دراسات الفقه المختلفة وظهرت البحوث الموضوعية العلمية في التاريخ والجغرافيا, كما برزت الدراسات الدينية على اختلاف مواضيعها من تفسير القرآن الكريم ودراسات الحديث النبوي الشريف, كما تميزت تلك الفترة بأن الدراسات أصبحت تعتمد على منهج علمي وأسلوب موضوعي .

لقد كانت حضارة البويهيين حضارة متكاملة زخرت فيها جميع العلوم وأبدع في ظلها أفذاذ العلماء والأدباء وتشير المصادر إلى أن أقطاب العلوم والمعارف في التاريخ الإسلامي قد عاشوا في ظل هذه الدولة وإضافة إلى ما ذكرنا من العلماء والأدباء الوزراء فقد برز الكثير من العلماء ومنهم: في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه: "الشيخ المفيد" محمد بن محمد بن النعمان، السيد "الشريف المرتضى" ـ علم الهدى ـ علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي، "الشريف الرضي" محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي، "الرماني" علي بن عيسى بن علي الواسطي، "السري الكوفي"، "الطبري"، "أبو الفرج النهرواني" عبد الملك بن بكران، "ابن سلامة البغدادي" أبو القاسم هبة الله بن سلامة، "الباقلاني" محمد بن الطيب، "الجصَّاص" أحمد بن علي، "السجستاني" دعلج بن أحمد البغدادي، "البزاز" محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى العلوي، "الحجامي" محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن الحجاج، "العصمي" محمد بن العباس بن أحمد بن عصم.

أما في الفقه فمنهم: "الإسفراييني" أحمد بن محمد بن أحمد، و"الكرخي" أحمد بن عبد الله، و"ابن طراف" الجريري النهرواني، و"الوراق" الحسن بن حامد بن علي، أما في علوم اللغة وآداب العربية فقد برز: أبو علي القالي، وابن جني، والمرزباني، والسيرافي، والصولي، وأبو إسحاق الصابئ، والتنوخي .

وكان للشعر حيز واسع في رقعة الحضارة في الدولة البويهية والبلاط البويهي ويكفي ذلك العصر أنه ضمّ أبا الطيب المتنبي أعظم شاعر أنتجته العربية طوال تأريخها الطويل، كما ضمَّ ذلك العصر من الشعراء مفخرتي الشعر والأدب الشريفين الرضي والمرتضى، و"الزاهي" أبو القاسم علي بن إسحاق بن خلف الزاهي، وأبو الحسن محمد بن محمد بن لنكك البصري، و"السلامي" أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد القرشي المخزومي، و"العكبري" أبو الحسن عقيل بن محمد الأحنف.

ومن المؤرخين الذين عاشوا في زمن البويهيين: "المسعودي" علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي، وأبو الفرج قدامة بن جعفر وفي الجغرافيا: "الإصطخري" أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، و"ابن حوقل" أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي.

ومن العلماء الذين برزوا في علوم أخرى "الكاغدي" أبو عبد الله الحسين بن علي بن إبراهيم المتكلم المشهور بالكاغدي، و"الحصري" أبو الحسن علي بن إبراهيم، و"ابن زهرون الحراني" ثابت بن إبراهيم بن زهرون، و"ابن أبي الأشعث" أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الأشعث، وماسويه الماردِيني، و"البوزجاني" محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس و"الصاغاني" أبو حامد أحمد بن محمد الصاغاني .

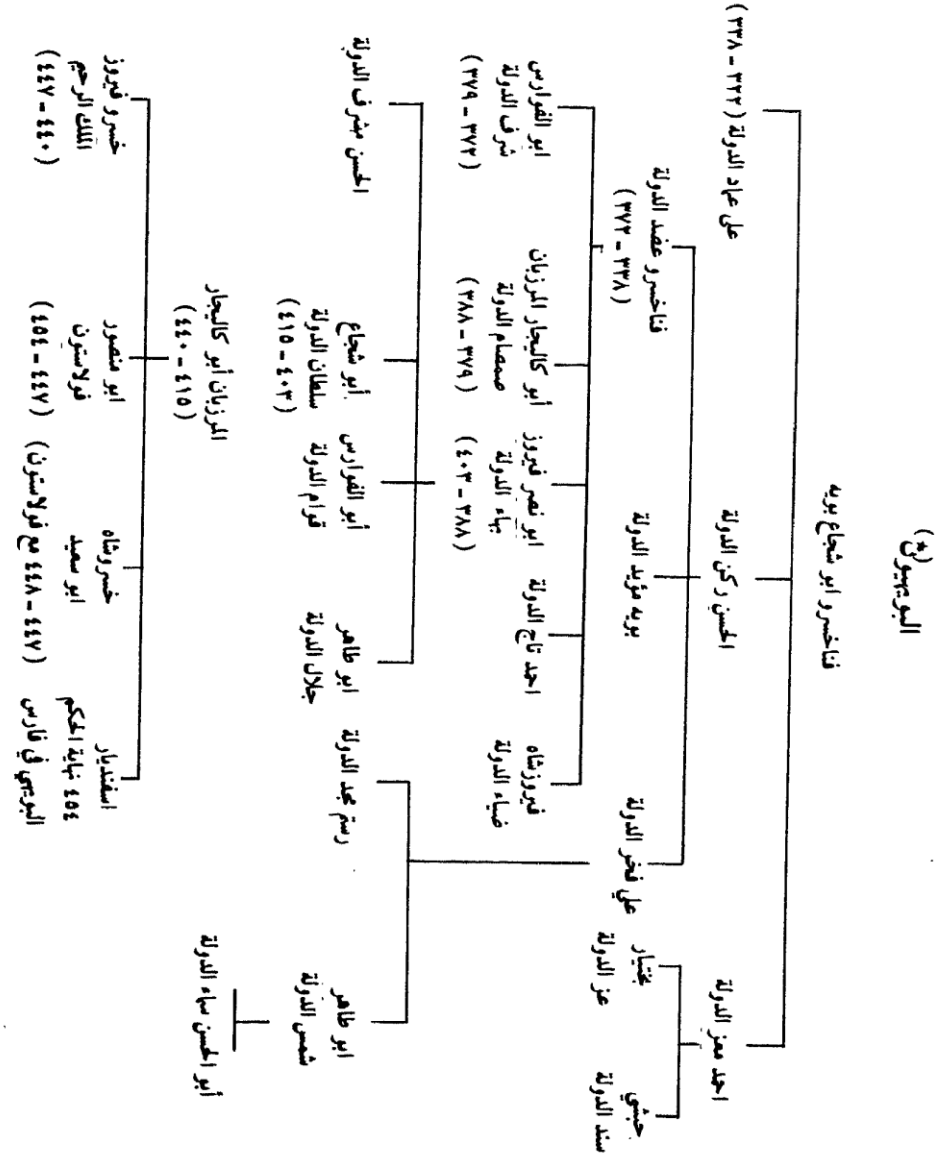

٤١٠

مخطط نسب الأسرة البويهية ، المصدر ، حسن منيمنة ، تاريخ الدولة البويهية ، السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ص 410 .